(( **ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي** ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

الأولى

هل وقفتم على سبب نزول هذه الآيات ؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ لقمان: ١٤ - ١٥

لهذه الآيات قصة فّذة، وموقف رائع لفتى من أكرم فتيان مكة نسبا .

هذه الآيات تحكي موقفا لفتى من فتيان مكة، يقول عن نفسه: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا ثُلُثُ الإِسْلاَمِ» رواه البخاري .

فهو ثالث من أسلم، هو فارس الإسلام، هو بطل القادسية، هو فاتح المدائن، أحد العشرة المبشرين بالجنة أحد السابقين الإسلام، أحد الستة من أهل الشورى، إنه البدري الذي شهد بدرا، وفاز بوسام رسول الله لأهل بدر «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» رواه البخاري .

من أهل بيعة الرضوان الذين كتب الله لهم الرضا فقال ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ الفتح: ١٨

نحن اليوم مع أول من رمى بسهم في الإسلام، وأول من أراق دما للكفر الباغي والشرك الطاغي، مع خال النبي، مع الأسد في براثنه، مع صاحب الهجرتين هو الذي فداه النبي بأمه وأبيه فقال: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» رواه البخاري .

إذا ذكر سعد بن أبي وقاص ذكر الجهاد في سبيل الله ..

إذا ذكر سعد ذكر البر والتقوى ..

إذا ذكر سعد ذكر الثبات والصدق ..

إذا ذكر سعد ذكر الصلاح والاصلاح، ولا عجب فقد تربى في كنف رسول الله .

سعد بن أبي وقاص خال النبي من بني زهرة عاش في جاهلية جهلاء, وضلالة العمياء, وظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، وجاءه نور من الله، جاءته موعظة من ربه وشفاء لما في الصدور، وأسلم سعد بن أبي وقاص وأحيا الله قلبه بنور التوحيد، أحياه بحلاوة الإيمان، شرح الله صدره ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭼ الأنعام: ١٢٥

وقال سعد بين يدي رسول الله " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله" ، وأسلم سعد بن أبي وقاص خال النبي ، أسلم سعد في أول أيام الدعوة، وطار خبر إسلامه إلى أمه، فأخذها ما قرب و ما بعد، وكانت كافرة، فحزنت، وغضبت، وعبست، وبسرت وقالت: " يا سعد بلغني أنك آمنت بمحمد" قال: "نعم، يا أماه"، وكان بارا بأمه، قالت له: "يا سعد إنّ دين محمد يأمر الابن أن يكون بارا بوالديه"، قالت: "فأطع أمري وأكفر بمحمد"، قال: "مه يا أماه أأكفر بمحمد" ؟ قالت: "أكفر بمحمد وإلا لأدعن الطعام والشراب حتى أموت"، كلمات قوية من أم قوية ولكن هيهات هيهات فقد ذاق سعد حلاوة الايمان وأنى لقلب شرح الله صدره للإسلام أن يعود للكفر بعد أن أنقذه الله منه فقال لها كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قال لها كلمة لو سلطت على الجبال لنسفتها قَالَ لَهَا: : "تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِائَةُ نَفْسٍ، فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا، مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، إِنْ شِئْتِ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتِ فَلَا تَأْكُلِي". فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ لقمان: ١٥

بخ بخ ، نفوس تزول الجبال ولا تزول ، نفوس آمنت بالله ولقائه ؛ إنه الولاء والبراء ، إنه الصدق مع الله، والثباث على دينه فتعرض سعد للبلاء والأذى فصبر

وثبت سعد والإسلام في قلبه كالجبال الراسيات شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وكان قريبا من النبي ، وكان النبي يفخر به فإذا أَقْبَلَ سَعْدٌ قال: «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ» رواه الترمذي .

وكان النبي يحبه حباً جمّاً تقول عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ، أَنَّ أَبَاهَا سعد بن أبي وقاص قَالَ: تَشَكَّيْتُ بِمَكَّةَ شَكْوًا شَدِيدًا، فَجَاءَنِي النَّبِيُّ يَعُودُنِي، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أَتْرُكُ مَالًا، وَإِنِّي لَمْ أَتْرُكْ إِلَّا ابْنَةً وَاحِدَةً، فَأُوصِي بِثُلُثَيْ مَالِي وَأَتْرُكُ الثُّلُثَ؟ فَقَالَ: «لاَ» قُلْتُ: فَأُوصِي بِالنِّصْفِ وَأَتْرُكُ النِّصْفَ؟ قَالَ: «لاَ» قُلْتُ: فَأُوصِي بِالثُّلُثِ وَأَتْرُكُ لَهَا الثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ» ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِي وَبَطْنِي، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، وَأَتْمِمْ لَهُ هِجْرَتَهُ» فَمَا زِلْتُ أَجِدُ بَرْدَهُ عَلَى كَبِدِي . رواه البخاري .

وخذ هذا الموقف الرائع لسعد تحكيه أم المؤمنين عائشة ƒ فتقول : أَرِقَ رَسُولُ اللهِ، ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، قَالَتْ وَسَمِعْنَا صَوْتَ السِّلَاحِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : «مَنْ هَذَا؟» قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا رَسُولَ اللهِ جِئْتُ أَحْرُسُكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَنَامَ رَسُولُ اللهِ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ . متفق عليه.

الله أكبر .. يا كرام أليست هذه بكرامة لسعد ؟

وفي بدر قاتل سعد قتال الأبطال حتى قال عبدالله بن مسعود «لَقَدْ رَأَيْتُ سَعْدًا يُقَاتِلُ يَوْمَ بَدْرٍ قِتَالَ الْفَارِسِ فِي الرِّجَالِ» .

وفي غزوة أحد في ذلك اليوم العصيب الشديد الذي بلغت فيه القلوب الحناجر ، وانكشف المنافقون، وقتل سبعون من أصحاب سيد الآنام عليه الصلاة والسلام في تلك الغزوة ضرب سعد بن أبي وقاص مثلا في الصبر والثبات. وكان من الرماة الذين استماتوا في الدفاع عن رسول الله يوم فر من فر، وأدبر من أدبر، فثبت سعد ثبات الأبطال يذود بنباله الحادة الصائبة عن رسول الله ، وقف سعد في غزوة أحد يوم انكشف المسلمون ، وعظمت المصيبة ، وتتابع البلاء فرمى في يوم أحد بألف سهم ، وقاتل دون النبي حتى قال له النبي : «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» قال علي بن أبي طالب ما سمعت النبي : جَمَع أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ، غَيْرِ سَعْدِ، فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» متفق عليه .

كان جوادا كريما سخيا عابدا خفيا تقيا وهو الذي يقول سمعت النبي يقول : «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ» رواه مسلم .

كان كثير البكاء رقيق القلب كف بصره فجاءه رجل قال يا عم أنت تدعو ، ومجاب الدعوة هلاّ دعوت لنفسك فردّ الله بصرك فتبسم وقال : يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري وأرضاه .

ولما تجهز الفرس لقتال العرب قال عمر بن الخطاب : والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب وهمّ عمر أن يتولى قيادة هذا الجيش فصرفه عن ذلك أهل مشورته، وقال: عزمت على المسير إلى الفرس فصرفني ذوو الرأي منكم فأشيروا عليّ برجل يلقّن الفرس وكسرى درسا لن ينسوه قال عبدالرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين عليك بالأسد في براثنه سعد بن أبي وقاص والله إنه شجاع رام ، وأعطى عمر، سعداً الراية ثم قال له يا سعد بن أبي وقاص لَا يَغُرَّنَّكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ قِيلَ: خَالُ رَسُولِ اللَّهِ وَصَاحِبُهُ. فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا بِطَاعَتِهِ ... الخ .

لك الله يا سعد وانصرف سعد بالجيش إلى معركة القادسية التي كسر المسلمون فيها شوكة الفرس، في معركة القادسية لقن المسلمون الفرس درسا في فنون الحرب والقتال شعاره ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ محمد: ٧ ونظم سعد جيشه وأعدّ عدته وتهيأ الفريقان للقتال وأمر سعد قارئ الجيش أن يقرأ على الجيش سورة الأنفال

ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ الأنفال: ١٢ فلما قرئت هشَّتْ قلوبُ الناس، ودمعت عيونهم، وعرفوا السكينة في قراءتها ، واحتدم القتال، وتحالفت الأمراض على البطل القائد العام سعد فأصابته بعرق النساء ودمامل في جسده منعته من الركوب بل حتى من الجلوس فاعتلى القصر ونادى في الجيش قائلا : إن الله هو الحق لا شريك له في الملك قال جل ثناؤه: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ الأنبياء: ١٠٥

لك الله أيه الليث في براثنه دمامله تنزف ، وهو عنها في شغل يقول لأصحابه (الْزَمُوا مَوَاقِفَكُمْ، لا تَحَرَّكُوا شَيْئًا حَتَّى تُصَلُّوا الظُّهْرَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ فَإِنِّي مُكَبِّرٌ تَكْبِيرَةٌ، فَكَبِّرُوا وَاسْتَعِدُّوا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّكْبِيرَ لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ قَبْلَكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُعْطِيتُمُوهُ تَأْيِيدًا لَكُمْ ثُمَّ إِذَا سَمِعْتُمُ الثَّانِيَةَ فَكَبِّرُوا، ولتستتم عُدَّتُكُمْ، ثُمَّ إِذَا كَبَّرْتُ الثَّالِثَةَ فَكَبِرُّوا، وَلْيُنَشِّطْ فِرْسَانُكُمُ النَّاسَ لِيَبْرُزُوا وَلِيُطَارِدُوا، فَإِذَا كَبَّرْتُ الرَّابِعَةَ فَازْحَفُوا جَمِيعًا حَتَّى تُخَالِطُوا عَدُوَّكُمْ، وَقُولُوا: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ! واستمر القتال أياما تطايرت فيها رؤوس، وأريقت دماء، ومزقت أشلاء وإذ برأس رستم قائد الفرس مرفوع على رماح المسلمين وعمت بشائر النصر

سلوا فخامة كسرى عن كتائبنا

وجيشه الضخم لما مُدَّت القُضُبُ

سرى يجرُّ ذيول الخزي منكسراً

وكُسِّرت عنده التيجان والحُجُبُ

واستشهِدوا قيصرَ الرومي ودولتَه

جنودُه في ليالي نصرنا حَطَبُ

نعم نُصِرنا لأن الله مقصدنا

وليس يخدعنا عن ربنا سَبَبُ

وفتح سعد البيت الأبيض بيت كسرى ، ودخل سعد قصر كسرى دخله بقلبٍ مطمئن بالإيمان دخله منكسرا بين يدي الله، ويقول صدق الله ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ الدخان: ٢٥ - ٢٨

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم**

الثانية

ولما تولى عمر الخلافة أرسل سعداً واليا على الكوفة، ثم فوجئ عمر برسالة من أهل الكوفة تشكو سعد بن أبي وقاص تشكو خال رسول الله رسالة باطلة ملئت زورا وبهتانا ففي صحيح البخاري من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ ، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ «فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا»، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ .

ولكل نفس أجل ، و لكل بداية نهاية ، وجاءت لحظة التتويج لسعد حانت لحظة الوداع والتمام ، وحسن المنية والختام ، وها هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص يروي اللحظات الأخيرة لوالده سعد بن أبي وقاص فيقول: كَانَ رَأْسُ أَبِي فِي حجْرِي وَهُوَ يَقْضِي فَبَكَيْتُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ أتدرون ماذا قال لولده وهو يعالج سكرات الموت ؟ أتدرون بماذا ودع الدنيا وماذا قال لإبنه ؟ قال: ما يبكيك يا بني ؟ قلت لِمَكَانِكَ وَمَا أَرَى بِكَ قَالَ: لاَ تَبْكِ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُنِي أَبَداً وَإِنِّي مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ.

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر ..

قال الذهبي¬ : صَدَقَ وَاللهِ فَهَنِيْئاً لَهُ. لا تخف يا مصعب إن الله لا يعذبني وإني من أهل الجنة حسن ظن بالله ثقة في كرم الله ، أستقام في الحياة فكان موعده في الجنات ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ القمر: ٥٤ - ٥٥